

أزمة التربية في المجتمعات العربية

The crisis of education in Arab societies:

طبال لطيفة

قسم علم الاجتماع جامعة البليدة

Abstract:

Education has an important role in society and all its institutions participate in preparing a good individual who can contribute to the development of society and its growth. Education can affect positively or negatively. It is the basis for achieving the society's goals and requirements. This article explains the crisis of education in Arab societies, its dimensions, as well as connecting them to contemporary social variables.

المخلص:

للتربية دور هام في المجتمع ويشارك فيها جميع مؤسساته لإعداد فرد صالح يساهم في تنمية المجتمع وتقدمه، ويمكن أن تؤثر التربية سلبا أو إيجابا، فهي أساس تحقيق أهداف المجتمع ومتطلباته، وتأتي هذه المقالة لتوضيح أزمة التربية في المجتمعات العربية وأبعادها وأدوارها والعوامل التي أوجدت هذه الأزمة، وكذا ربطها بالمتغيرات الاجتماعية المعاصرة

تمهيد:

أكد كثير من المفكرين على أهمية التربية في المجتمع ، وما تقدمه المؤسسات التربوية خاصة الرسمية للمجتمع من انجازات فعالة تدفع بالمجتمع إلى التقدم والازدهار، وإن كانت التربية لا تقتصر على المدارس والمعاهد والجامعات، وإنما تخص كل المجتمع تشارك فيها جميع مؤسساته والتي يمكن لها أن تؤثر في سلوك الفرد سلبا وإيجابا بدءا بالأسرة التي لها أكبر الأثر في التربية ثم تأتي بعد ذلك المدارس والمساجد، والملاعب ووسائل الإعلام الأخرى، ومؤسسات الجمعيات والأحزاب والندوات والمؤتمرات والمحاضرات والنادي ومواقع العمل المختلفة وأماكن اللهو والمسارح والسينما... الخ، فكل هذه المؤسسات تسهم في تربية الفرد وإعداده للحياة كما يجب أن تعاش في مجتمعه وما قد تتطلبه هذه الحياة من معارف ومهارات لا يستغني عنها حتى يعيش حياة مليئة بالسعادة والتقدم والنجاحات، لكن السؤال المطروح هل التربية في المجتمع العربي عامة والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص

حققت للفرد النجاحات والسعادة والتقدم؟ وهل التربية في هذه المجتمعات تمثل الثقافة السائدة فيها بكل ما فيها من قيم وعقائد وعادات وطرائق للعيش؟، أم التربية تفرض عليه ثقافة وتوجهات ووسائل من خارجه لا يفهمها ولا يريد لها لنفسه؟

تعريف التربية:

لغة: ربوا أي ربا بمعنى زاد ونما و أربيته أنميته، وربيت فلانا أنشأته أو ربوا و رباء¹، زاد ونما وأربيته تربية أي غدوته ربا الشيء يربو. كما تعني التربية إبلاغ الشيء إلى كماله يسيرا يسيرا أي تسير بصورة تدريجية منظمة تتخطى فيها المرحلة بعد المرحلة².

اصطلاحا: التربية هي مساعدة الطفل على إنماء قدراته وإيجاد مزيد من التوازن بينه وبين البيئة وإخراج ملكاته الكامنة إلى حيز الوجود من خلال عطاء منظم³

التعريف السوسولوجي:

يعرف ستيورت ميل (S. MILL) التربية بأنها: "كل ما نفعله نحن من أجل أنفسنا من كمال طبيعتنا"⁴

ويعرفها جون ديوي فيقول: "أن الحياة في أصل طبيعتنا تسعى إلى دوام وجودها ولما كان هذا الدوام لا يتم إلا بتجدد مستمر فهي إذن عملية التجدد بذاتها"⁵.

ويعرف دوركايم التربية أنها: "الفعل الذي تمارسه الأجيال البالغة على الأجيال التي لم تتضح بعد للحياة الاجتماعية، وهي تقوم بإثارة وتنمية مجموعة من الحالات الجسدية والذهنية والأخلاقية لدى الطفل حسبما يطلبها منه المجتمع السياسي برمته والوسط الخاص الذي تنتمي إليه"⁶.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج14 / مادة(ربا) ص 304-307

² عبد الله رشدان، علم اجتماع التربية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999، ص 24.

³ محمد أيوب شحيمي، دور علم النفس في الحياة المدرسية ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994، ص11.

⁴ أوبير، رونيه، التربية العامة، تر: عبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين، بيروت، 1972، ص 23.

⁵ نفس المرجع، ص24

⁶ عدنان الأمين، التنشئة الاجتماعية وتكوين الطباع، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2005، ص15.

ويراها آخرون أنها: "وعاء وأساليب وإجراءات ينقل بها تراث الأمة من الأجداد إلى الأحفاد ومن الآباء إلى الأبناء وبواسطتها تتطور الحضارة عن طريق العلوم المتفجرة والمعارف المتزايدة على نسق ينسجم مع نظرة الأمة ورسالتها في الحياة".¹

خصائص التربية:

إن التربية تمتاز بجملة من الخصائص نذكر البعض منها:

1. التربية عملية تفاعل أحد طرفيها الفرد والطرف الثاني المجتمع فيتم خلالها نقل الأنماط السلوكية ويكون على دراية بثقافة المجتمع²، فالفرد في تفاعله مع أفراد الجماعة يأخذ ويعطي فيما يختص بالمعايير والأدوات الاجتماعية والقيم³.
2. التربية عملية لا تقتصر فقط على الطفولة فالفرد يخضع لها منذ ولادته وتستمر معه حتى وفاته فهي عملية لا يمكن تجاوزها أو إنكارها في أية مرحلة من المراحل التي يمر بها الفرد⁴.
3. التربية تختلف من مجتمع لآخر، من جيل لآخر، فهي تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات وتساهم فيها عدة مؤسسات.
4. إنها عملية نقل للحضارة والقيم الحضارية للمجتمع والمحافظة عليها من الاندثار أو التغلب على قيم حضارية أخرى وغزوها ويظهر هذا فيما يعرض في وسائل الإعلام، أي أنها نقل للقوى الحضارية
5. إنها عملية غايتها موجودة في أحد الطرفين وهو يمارس عمله بالنسبة للطرف الآخر فالكبير هو الذي يوجه الجيل الناشئ وهي مقصودة أيضا.

¹ إسحاق الفرخان، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1983، ص 13-14.

² عامر مصباح، التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2003، ص 39.

³ معن خليل عمر، علم الاجتماع الأسرة، دار الشروق، 1994، ص 84

⁴ عامر مصباح، مرجع سابق، ص 41

6. إنها عملية ترغب في إيصال شيء إلى كمال نموه، وإيصاله لا يكون عن طريق تقديم معلومات يكتسبها الفرد فحسب، بل أيضا تهيئة الظروف لتتمكن هذه القوى الداخلية التي يحملها الناشئ معه من أن تتضج من الداخل وتتمو.¹
7. إنها فن التنمية الأعضاء الحسية والعقلية وطريقة تهذيب الفرد طبق أصول مطلوبة.²
8. أنها الوسيلة التي بواسطتها يعلم المجتمع الجيل الناشئ فيه المعارف والقيم وطريقة حياته.³
9. إنها عملية تعتبر القاعدة ضرورة التلاؤم بين عضوية حية ذات شروط خاصة وبين ظروف خارجية تحيط بها، وترى أن هذا التلاؤم ضروري لبقاء العضوية ولا يمكن أن يتم إلا بتدخل الراشد المربي.
10. إنها عملية لا نستطيع أخذها بمعنى ضيق محدود، قد يكون أكثر حديثا عن التربية داخل المدرسة ولكن البيت أيضا يقوم بدوره في التربية والمجتمع أيضا.⁴
- أهداف التربية:

إن التربية ترتبط بالفرد والمجتمع فهي تحقق أهداف الفرد كما تعمل على تطوير المجتمع، إلا أن "برتراند رسل" يرى أن هناك ثلاث فروع للنظريات التربوية:

الأولى: يعتبر الهدف الوحيد للتربية هو تهيئة فرص النمو وإزالة مظاهر التخلف.

الثانية: ترى أن هدف التربية هو تثقيف الفرد وتطوير إمكانياته لأقصى حد ممكن.

الثالثة: تؤكد على علاقة التربية بالمجتمع أكثر من علاقتها بالفرد وبذلك يكون عملها موجه على علاقة التربية بالمجتمع أكثر من علاقتها بالفرد وبذلك يكون عملها موجه نحو تدريب المواطنين النافعين.⁵

¹ عبد الله رشدان، علم اجتماع التربية، مرجع سبق ذكره، ص26

² سعد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، 1975، ص422

³ اسحق الفرحان، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص13-14.

⁴ عبد الله رشدان، علم اجتماع التربية، مرجع سبق ذكره، ص26

⁵ برتراند رسل، التربية والنظام الاجتماعي، ترجمة سمير عبده، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1978، ص29

ومن أهداف التربية نمو طاقات الفرد وإمكانياته على أساس احترام شخصيته وإفساح الفرص المناسبة أمامه لتنمية هذه الطاقات فالتربية هي عملية نمو شاملة للطفل جسدياً، وعقلياً، واجتماعياً، وسط جماعة اجتماعية معينة تعمل على الوصول به إلى أقصى ما تؤهله له قدراته الطبيعية¹

كما تهدف التربية إلى إكساب الطفل مبادئ واتجاهات وقيم المجتمع الذي يعيش فيه، حتى يمكن اندماجه مع أفراد هذا المجتمع، ويؤدي واجباته دون معوقات، وتهدف إلى أن يتشرب الطفل القيم الاجتماعية الإيجابية مثل: التعاون والحرية والاستقلال، والثقة بالنفس والانتماء للجماعة والصدق والحب واحترام الكبير... الخ.

كما تهدف إلى الإعداد العلمي للطفل كي يكون مرتفع الكفاءة العلمية والعملية، من خلال مراحل متتالية²

وتهدف أيضاً إلى تحقيق عملية الضبط الاجتماعي بالنسبة للمجتمع بشكل عام، والامتثال لقواعده وقيمه، ومثله، وهذا لا يتم إلا من خلال تبني الفرد لقيم الجماعة وثقافتها من خلال عملية التربية، والتي تتمثل في نقل ثقافة المجتمع إلى الأفراد³

وفي أوقات التغيير والنمو الثقافي، على التربية إكساب الأفراد إدراكاً جديداً يتناسب مع ما ينتاب فترة من الفترات من تغير اجتماعي قد يشمل المجتمع بأسره وهذا الفهم الجديد يجب أن يكون متسعاً فيشمل القواعد والأفكار التي تحكم العلاقات المختلفة بين الأفراد والمنظمات وبين المنظمات نفسها، وبين الأفراد أنفسهم.

وتهدف التربية على المحافظة على عقل الفرد واتزانه، فيفهم الفرد ما يجري حوله في العالم الذي يعيش فيه، ويستطيع حل المشكلات الاجتماعية التي أصبحت من اهتمام التربية والبرنامج التعليمي، حيث تمد التربية الأفراد بالخبرة الملائمة التي تنمي التفكير النقدي والذي

¹ محمد الهادي عفيفي ، في أصول التربية" الأصول الثقافية للتربية" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978، ص42-44

² السيد عبد القادر شريف، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 2002، ص 11-12

³ حسين الساعاتي، علم الاجتماع القانوني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1967، ص 37-38.

يعتبر من لوازم مواقف الصراع الثقافي، يتعلم الشباب وال كبار نتيجة لذلك كيف يفكرون تفكيراً فعالاً منتجا في المواقف التي تواجههم شخصياً، وبذلك تقوم التربية بوظيفتها نحو ازدياد تكيف الأفراد في المجتمع المتغير.¹

أزمة التربية في المجتمعات العربية:

على حد تعبير دوركايم يوجد لكل مجتمع في مرحلة معينة من تطوره نظام للتربية، يفرض نفسه على الأفراد بقوة لا تقاوم عموماً. والأفكار والعادات التي تحدد هذا النظام لم يصنعها الأفراد بل هي نتاج الحياة المشتركة وتعبر عن ضرورتها، وهي في معظم الأحيان نتاج أجيال سابقة، ويقول في نفس السياق عندما نتبع تاريخاً الطريقة التي تكونت بها ونمت أنظمة التربية يتبين لنا أنها تابعة للدين، للتنظيم السياسي، لدرجة تطور العلوم لحالة الصناعة... الخ، إذا فصلناها عن كل هذه الأسباب التاريخية تصبح غير مفهومة.²

وكما جاء على لسان الكثيرين بأن التربية هي الوسيلة التي بواسطتها يعلم المجتمع الجيل الناشئ فيه المعارف والقيم التي يحترمها ويريد تسليمها لهذا الجيل والتي تمثل ثقافته وطريقة حياته، فهل أدت التربية في مجتمعنا هذا الدور؟ من الواضح أن عوامل كثيرة تدخلت وحالت دون تحقيق هذا الهدف ومن بين أسباب أزمة التربية في مجتمعاتنا نذكر ما يلي:

التغير الاجتماعي:

إن التغير الحاصل في هذه المجتمعات أدى إلى وجود أزمة في التربية ومنها منظومة القيم لدى المجتمعات العربية التي أصابها هذا التغير ولذا نجد في الغالب تصادماً بين النظم الرسمية الوافدة والنظام الاجتماعي الأصلي المبني على القيم والمعايير التراثية التقليدية للمجتمع.

إن تفكيك النظام الاجتماعي -التقليدي- أدى إلى تفكيك القيم التي تحدد طبيعة وهوية المجتمع، كما تحدد طبيعة المكانة الاجتماعية والأدوار والوظائف التي يحظى بها كل فرد

¹ دلال ملحق أستيتية، التغير الاجتماعي والثقافي، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2004، ص 207-206

² DURKHEIM,EMILE, Education et sociologie ; P.U.F 4eme EDION,paris,1980,p46.

وتتحكم في النظام الاجتماعي بكل تجلياته ونشاطاته السياسية والاقتصادية والثقافية¹، وعليه فإن التغيير الذي أحدثه التغريب الاستعماري والحملات المتتالية له وما طرأ على المجتمعات العربية عامة والجزائر بالخصوص ما هو إلا انعكاس للانحرافات السلوكية وازدياد مظاهر الغش والكذب والنفاق والخداع والرشاوى والسرققات، والاستغلال والاحتكار، وتسويق المسكرات والمخدرات وتعاطيها، وعدم الحياء وممارسة الجنس... وغيره، تؤكد أن التربية فشلت في تهذيب سلوك الأفراد وتحقيق الأهداف الخلقية والسلوكية المنتظرة منها، وفي الوقت الذي طرأت تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية تغير الكثير من القيم الخلقية وأصبحت قليلة في مجتمع من خصوصياته أنه يتمسك بقيم الرحمة وطاعة الكبير والصدق والوفاء، وحب الخير ومساعدة الآخرين واحترام الغير..

إن المجتمعات العربية كانت عرضة للتفكك الأسري لأنها كانت عرضة للتغيير السريع وما يرافقه من نوع الفشل في قدرة الناس سلوكيا واجتماعيا على التوافق معه وعدم التكيف مع التطورات الجديدة التكنولوجية المعقدة والمتغيرة باستمرار فيحدث عدم التوافق في أنماط السلوك التي أفرزتها حضارة منبثقة عن بنى اجتماعية تختلف جوهريا عن البنى الاجتماعية وواقع اجتماعي لا يتيح لمعظم أفرادها إمكانية التصرف بشكل يحافظ على القيم والأعراف المحلية² ونتيجة لعوامل التغيير حدث تعديل جوهري في الأدوار والمكانات وحدث اختلاف في الأبعاد والمسؤوليات وتغير النسق القيمي داخل كثير من الأسر سواء العربية أو الجزائرية كما أفرز التغيير الاجتماعي مشكلات عديدة لدى الشباب منها ما يتصل بصحته الجسمية والنفسية أو ما يتصل بعلاقته مع أسرته أو مدرسته أو بيئته ومنها مشكلات قيادته وتوجيهه والنقص في ذلك كما وكيفا وغيرها من المشاكل التي تؤثر في حياة الناشئين وتحدد موقفهم من المجتمع كما تحدد المستقبل الذي ينتظرونه أو ينتظرهم³

¹ سعيد جودت، في آفاق المستقبل، نظرة تحليلية للتقاليد العربية، منشورات ملتقى الأسرة العربية والمستقبل، القاهرة، 1989، ص105

² خليل شكور، أمراض المجتمع، ط2، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1998، ص263

³ فرد ميلسون، الشباب في مجتمع متغير، تر" يحي مرسى عبد بدر، دار الهدى للطبوعات، ط1، الإسكندرية، 2000، ص 17-18

وهذه المشاكل التي تصادف الشباب أدت بدورها إلى التناقص بين القيم والمجمع أي ما بين ما يجب أن يكون وبين الممارسة الفعلية. كما أدى التغير الحاصل إلى جعل الشباب يفقدون الهوية الذاتية بسبب بعدهم عن الثقافة الأمة وتراثها وتقاليدها وعقيدتها. وأصبح منهم المتغرب الذي يعيش كما تعيش الحياة في البلدان الغربية بتشويه قليل أو كثير. ومنهم من حاول مسك العصا من وسطها فازداد تشويشا ومنهم من يحاول الحفاظ على شخصيته بما فيها من قيم دينية واجتماعية فصار كالماسك على الجمل مما جعل الكل يعيش في عزبة وهو في وطنه¹

من مشكلات التربية مشكلة الجنس وصعوبة تكيف الشباب مع هذه المشكلة وعدم وجود التربية الجنسية الصحيحة وترجع هذه المشكلة إلى الغزو المرتبط بالإخلال والمفهومات المغلوطة عن الجنس ووظيفته في الحياة والمثيرات الخارجية من ابتعاد الشباب عن الدين والأخلاق والعقبات التي توضع أمام الشباب في الزواج المبكر منها عدم توفر السكن وارتفاع البطالة وغلاء المهور وتغير قيم الزواج ومن أزمة التربية الفراغ الفكري والعقلي والعاطفي والروحي²، بسبب الابتعاد عن الثقافة الأصيلة والتمسك بالثقافة الغربية وقشورها والتقليد الأعمى للغرب حيث ينساق الشباب وراء مغرباء الحياة والموضة والسلوكيات المنحرفة منها ولا يقلد الغرب في العلم والاختراع التكنولوجي والعلمي ونتج عنه ضعف التعليم والثقافة والتخلف العلمي، فكل هذا هوة بين التقدم العلمي والتقني من جهة والتطور ألقيمي من جهة أخرى، وحدوث فجوة بين الأتساق القيمي والسلوكية للكبار وتلك التي يأخذ بها جيل الشباب وهذا يؤدي إلى ما يسمى بصراع الأجيال³.

ازدواجية التوجيه:

من أسباب أزمة التربية فصل الدين والتراث عن حياة المجتمع والتتكّر للتاريخ. وهكذا ينسلخ المسلم من عقيدته ودينه ومن نظامه التربوي، وهذا ما جعل الكثير يعارضونها

¹ مفيدة محمد إبراهيم أزمة التربية في الوطن العربي، ط ودار المحلوي للنشر عمان الأردن 1999، ص 21.
² فرد ميلسون، الشباب في مجتمع متغير، مرجع سبق ذكره، ص 18.
³ عزت حجازي، الشباب العربي ومشكلاته، ط 2، عالم المعرفة، العدد السادس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985، ص 17-18.

ويعارضون أزمة التغريب، ولذا حاول دعاة التغريب تسكين مخاوف المسلمين وأدخلوا شيئاً من التربية الدينية والتاريخ الإسلامي إلى مناهج التربية المدرسية، وإلى وسائل التربية الأخرى كوسائل الإعلام ... كما حاولوا أن يمزجوا بين القيم الروحية الإسلامية والقيم المادية الغربية المستوردة. ولكن هذه الموازنة لم تتحقق وغلبت كفة الجانب المادي المستورد على حساب الجانب الأصلي.

أما الفريق الذي كان له الأثر الكبير والذي بنى النظام التربوي في البلاد العربية، أعطى السيادة للفكر المادي مع إعطاء مساحة صغيرة ليشغلها الدين من أجل تحقيق حاجات أفراد الشعب العاطفية، وتسكين مخاوفهم على دينهم وتراثهم وأصالتهم، مما زاد من عدم التوازن بين المادي والروحي، فجعل مناهج التربية المدرسية على سبيل المثال تقوم أصلاً على أسس ومفاهيم وقيم مادية، بينما التربية الدينية لا تعطى لها إلا القليل من الوقت والاهتمام دون ربطها بأهداف المتعلم وأهداف مجتمعها مما جعلها سطحية لا تؤدي وظيفتها التربوية.

أما التاريخ وغيره من التراث فيعرض بشكل مشوه، ومن وجهة نظر المستشرقين المتحيزين في الغالب مما جعل تأثيره هو الآخر سلبياً أكثر منه إيجابياً.¹

وهكذا انتشرت ازدواجية الفكر وازدواجية التربية والتعليم وازدواجية التعامل مع الإنسان الذي هو في الفكر الإسلامي كل واحد لا يتجزأ، وفي الازدواجية يحدث تشويهاً وتشويشاً في الصورة المرسومة للإنسان.² وفي هذا الصدد يقول د. محمد فاضل الجمالي في كتابه آفاق التربية الحديثة "أن نظم التعليم الغربي تكون في الغالب مبنية على فلسفات ذات صفة ثنائية أو انشطارية... فهي فلسفات تفصل الدين عن الدولة، والروح عن الجسد والفرد عن الجماعة...³ وهذه الازدواجية في التعليم كانت من أخطر التحديات التي حرص الاستعمار

¹ مفيدة محمد إبراهيم، أزمة التربية، مرجع سبق ذكره، ص 54-55.

² محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار القلم، القاهرة، بدون سنة، ص 26.

³ نفس المرجع، ص 143.

على إبقائها وتعميقها، ولقد ثبت أن الثنائية حالت دون وحدة الأمة وأصبحت خطراً على وحدة الفكر¹

إن هذا التغريب وتقليد الغرب ونقل فكرهم وتجاربهم وازدواجية التوجيه، أدت إلى جهل الفرد العربي بدينه وتراثه وأمجاده، مما جعله يشعر بالدونية أمام الثقافة الغربية، وجعل المثقف ينفصل بالتدريج عن دينه وتراثه وعن واقع مجتمعه وطموحاته وانشغالاته، وبدأ يسعى إلى اللحاق بالركب الحضاري الأجنبي، ويقتدي به في حياته وتطلعاته وطموحاته، وينعت من يتمسك بثقافته ودينه وأصالته بالرجعي والمتخلف والمحافظة، فتكونت مجموعتين من المثقفين: فئة تدعو إلى العلمانية والتغريب، وفئة أخرى تدعو إلى الأصالة والعروبة، وبذلك تشتتت شمل الأمة.

كما أدى التغريب وازدواجية التوجيه إلى الابتعاد الكثيرين عن تعلم الدين ودراسته دراسة علمية منطقية خاصة المثقفين منهم ووسم الدين بالسذاجة والبعد عن العقل وبالرجعية والتخلف وهذا ما جعل أمر الدين متروك لفئتين، الجاهلة أو المحدودة الثقافة والتي لا تعرف من الدين إلا بعض التفاسير والمقولات التي تغلب عليها البدع والخرافات، والفئة التي كانت معنية بتفسير الدين وتأويله بشكل يؤدي إلى تهوينه ليخفف من تمسك الناس به² أو تخويفهم الخوض في الدين من جراء تحريم كل شيء مما أدى بالكثيرين إما الابتعاد عن الدين أو فهمه فهماً سيئاً، وبذلك كان دور العلماء في عصرنا هذا دوراً مضاعفاً حتى يتمكنوا من توجيه الشباب للقيم الإسلامية الصحيحة التي تهذب الإنسان فتجعله يعمر الأرض كما أمره ربه ولا يخربها وينهل من العلم الحقيقي الذي لا يتعارض مع هذا الدين .

إن التأكيد على التربية المادية وإهمال التربية الروحية وانفصالها عن حياة الفرد في المجتمعات العربية شنت فكره وشوشت عليه حياته فازدوجت معاييرها لما هو خطأ وما هو صواب وما هو حق وعدل وما هو ظلم وصار يعمل حسب ما تمليه عليه مصالحه وهو في الوقت ذاته يمارس الشعائر الدينية من صوم وصلاة وحج... إلخ

¹ أنور الجندي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1975، ص 197.

² مفيدة محمد إبراهيم، أزمة التربية، مرجع سبق ذكره، ص 63

وفي هذا الصدد يقول صدقي الدجاني: "أن الإنسان يعاني في أزمة روحية حتى تغطي فطرته فيحجب البعد الروحي في شخصيته وتقوم عوائق في داخله ومن خارجه تحول بينه وبين تلبية أشواقه فيفتقد الإيمان فيصاب بالحرمان ويعاني من الغربة مع نفسه ومع الآخرين، تلتبس أمامه القيم وتميل نفسه مع الهوى فينحرف عن الصراط المستقيم ويضل سالكا سبلا أخرى..."¹

وهذا ما استوحاه من الثقافة الغربية التي تختلف تماما عن ثقافة المجتمعات العربية، فالثقافة الغربية تقوم على النزعة المثالية في أنماط التربية والتعليم، فالطفل ينشأ على القيم المثالية "المحبة، التعاون، الصدق، الكرم... التي يتعلمها لفظيا في البيت والمدرسة لكنه سرعان ما يكتشف تلقائيا من خلال تصرف والديه ومعلميه والأفراد الذين يتعامل معهم في المجتمع، أن هذه القيم مجرد "مثل" لا ارتباط مباشر لها بالحياة الواقعية والسلوك العام، فينصرف إلى نمط من السلوك يفرضه عليه المجتمع من حوله يستند إلى العدوانية والتنافس والخداع والقهر دون أن يكون لهذا التناقض (بين الواقع والمثال) أي تأثير في نمط حياته أو في معتقده فهو في سن الرشد يسلك سلوك مخالف لكلامه عن قيم المحبة والأخوة التي يؤمن بها وينساها في السوق والشارع والعمل².

وهذه السلوكيات هي نفسها التي نراها في مجتمعاتنا من ازدواجية في الشخصية وأصبحت القيم الروحية محصورة فقط في الشعائر الدينية يمارسها الفرد من غير ربط لهذه الشعائر بحياته في عمله وفي علاقاته بالآخرين وبشؤون الحياة المختلفة فهو قد يؤمن بالله وبالدين ويؤدي فرائضه كاملة ولكنه في نفس الوقت قد يغش ويسرق ويستغل ويظلم، ولذلك انتشر الفساد في المجتمعات العربية بكل أشكاله ومنه التطرف حين ظهرت فئتين، فئة تمارس الانحلال الخلقي وفئة ثانية تمارس التطرف الديني.

وفي هذا الصدد يرى المستشرق ليوبولد فابس (محمد أسعد كما تسمى بعد إسلامه) أن التقدم الذي أحرزه المجتمع الغربي هو نتيجة للتقدم الطبيعي في آلاف السنين وتعبيرا عن أفكار

¹ أحمد صدقي الدجاني، *عروبة وإسلام ومعاصرة*، منشورات فلسطين، 1982، ص55.

² هشام شرابي، *مقدمات لدراسة المجتمع العربي*، ط3، دار المتحدة للنشر، 1984، ص83

أهل الغرب وقيمهم، فإذا طبق في مجتمع إسلامي يحدث به صراع عقلي ثم يتدرج إلى زعزعة العقيدة والردة الفكرية والدينية¹.

ولم يقتصر ضرر الازدواجية هذه على المفاهيم الدينية وإنما أصاب ضررها المفاهيم الغربية أيضا إذ جعلت الإنسان العربي لا يفهم ولا يقتبس من الفكر الغربي إلا المادية والفردية والأناية والاستهلاك وغيرها من القيم التي تهدر إنسانية الإنسان ولا تبنيتها².

العولمة:

ومن أسباب أزمة التربية "العولمة" التي تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني وتكون تربية عالمية أو ما يسمى بالقواعد الأخلاقية الكونية والتي تستمد من الأديان السماوية الثلاثة بالإضافة إلى الميزة الإنسانية المتراكمة (الثقافة المدنية) والتي تركز على الحرية السياسية والتعددية الفكرية واحترام حقوق الإنسان وتقبل الآخر، وتساعد الثورة الاتصالية بما تتضمنه من القنوات الفضائية التي تبث الرسائل التلفزيونية لمختلف أنحاء العالم بآبائها بالإضافة إلى شبكة الانترنت والتي تعمل على زيادة التفاعل الثقافي في المستوى العالمي، إلا أن الدول التي تمتلك التكنولوجيا سوف تمتلك القدرة على بث ونشر الرسائل الإعلامية والثقافية، وبذلك تصبح المجتمعات العربية مجرد مستقبلية لهذه الرسائل الإعلامية والثقافية بكل ما فيها من قيم وقد تحمل في بعض الأحيان غزوا ثقافيا قد يهدد الخصوصيات الثقافية لهذه المجتمعات³.

وقد أصبح كل شيء متاح بيئته الإعلام الغربي الذي يسعى جاهدا لإحداث غزو ثقافي للمجتمعات العربية حتى تذوب الهوية العربية الإسلامية وتصبح بلا هوية وبلا خصوصية ثقافية وهذا ما يسعى إليه الغرب عامة وأمريكا بصفة خاصة⁴.

وهذا ما خلق صراعا فكريا بين شريحتين في المجتمع العربي وهما "أنصار الخصوصية الثقافية المغلقة والخصوصية الثقافية المنفتحة، مما شكل أزمة في التربية.

¹ أنور الجندي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص212

² مفيدة محمد إبراهيم، أزمة التربية في الوطن العربي، مرجع سبق ذكره، ص66

³ السيد عبد القادر شريف، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، مرجع سبق ذكره، ص76

⁴ نفس المرجع، ص77

عدم ربط التربية بحياة المجتمع:

إن التربية لا يمكن فصلها عن المجتمع لأنها في الأساس عملية تفاعل بين المتعلم وبيئته، كما أن البرنامج التربوي الناجح هو ذلك الذي يحقق التوافق بين الفرد وحاجياته وطموحاته من جهة وبيئته من جهة أخرى، ويجعل الحاجان والطموحات متناسبة والظروف البيئية المختلفة¹.

ومن بين المؤسسات التربوية التي تؤثر في المجتمع وتخرج لنا إطارات المجتمع هي الجامعة، وعدم ربط الجامعة بواقع المجتمع العربي خلق أزمة تربوية وأدى إلى أنها في كل عام يتخرج جيش من الإطارات معظمهم لا يجد عمل من جهة ومن جهة أخرى نجد أن النظام السائد في الجامعات والمتمثل في نظام الترقية الذي يتم عن طريق الحصول على أكبر كم من البحوث تؤهله للتقدم إلى اللجان العلمية للترقية إلى الوظيفة الأعلى وإن لم يكن لها قيمة تطبيقية وينتهي مصير هذه البحوث إلى مخازن المجلس الأعلى للجامعات مثلها في ذلك الرسائل العلمية كالمجستير والدكتوراه، مما يقتل روح الإبداع والاختراع والابتكار والتجديد، وهذا ما يجعل الأستاذ الجامعي نادرا ما يستمر في البحث أو حتى يشغل نفسه بترجمة البحوث إلى كتب علمية رفيعة المستوى، فيها حل مشكلات المجتمع ونقل البحوث والرسائل العلمية إلى واقع تطبيقي يواكب العصر وانجازاته العلمية التي تأتي كل يوم بجديد. وفي جامعاتنا نناقش سنويا مئات الرسائل الجامعية، وفي شتى التخصصات ويستغرق البحث من ثلاث إلى خمس سنوات أو أكثر، ويبدل الباحث خلالها غاية جهده للكشف عن خبايا ظاهرة ما أو حل مشكلة أو نظرية جديدة أو للإجابة عن سؤال يخلص معظمها إلى توصيات محددة تهدف للتنمية والتغيير فلا بد أن تستغل انعكاسات هذا الجهد من أجل بلوغ أهداف التنمية في المجتمع.

¹ نيراسيرينيفاسن، التعليم غير النظامي، تر: محمد عزت عبد الموجود وآخرون، المنظمة للتربية والثقافة والعلوم، الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، 1984، ص33.

خاتمة:

هذه هي أسباب أزمة التربية وغيرها، لم يسعنا المجال لذكرها مثل غياب التنسيق بين المؤسسات التربوية المختلفة وتهميش الأسرة وتقليص دورها وغياب المعيار... الخ، والتي قامت بدور كبير في تشويش القيم والمفاهيم مما أحدث عجزا كبيرا في النظام التربوي والذي أدى إلى الأزمة التي يحس بها الجميع اليوم، فهل يتدارك النظام التربوي الأمر ويعالج ما تسببت فيه الأزمة أم يبقى هذا النظام في موقع العاجز عن تحقيق أهداف المجتمع في التقدم ماديا ومعنويا والتحرر من الغزو الثقافي الذي صار مهيمنا على كل مجالات حياة المجتمع والتبعية له وعاجز عن تحقيق الوحدة وتوحد الأهداف وتعليم الفرد العربي وتهذيب سلوكه ليحقق ما يصبو إليه المجتمع.

قائمة المراجع:

1. مفيدة محمد إبراهيم، أزمة التربية في الوطن العربي ، ط ودار المحلاوي للنشر عمان الأردن 1999.
2. عزت حجازي، الشباب العربي ومشكلاته، ط2، عالم المعرفة، العدد السادس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985
3. نيراسيرينيفاسن، التعليم غير النظامي، تر: محمد عزت عيد الموجود وآخرون، المنظمة للتربية والثقافة والعلوم، الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، 1984.
4. أحمد صدقي الدجاني، عروبة وإسلام ومعاصرة، منشورات فلسطين، 1982
5. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، ط3 الدار المتحدة للنشر، 1984
6. محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار القلم، القاهرة، بدون سنة.
7. أنور الجندي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1975.
8. ابن منظور، لسان العرب، ج14 / مادة(ربا)
9. عبد الله رشدان، علم اجتماع التربية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 1999.
10. محمد أيوب شحيمي، دور علم النفس في الحياة المدرسية، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994.
11. أوبير، روني، التربية العامة، تر: عبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين ، بيروت، 1972.
12. عدنان الأمين، التنشئة الاجتماعية وتكوين الطباع، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2005.
13. إسحاق الفرحان، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1983
14. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ط2، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1989
15. خليل شكور، أمراض المجتمع، ط2، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1998

16. فرد ميلسون، الشباب في مجتمع متغير، ترابي مرسى عبد بدر، دار الهدى للمطبوعات، ط1، الإسكندرية، 2000
17. دلال ملحق أستيتية، التغيير الاجتماعي والثقافي، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2004
18. سعيد جودت، في آفاق المستقبل، نظرة تحليلية للتقاليد العربية، منشورات ملتقى الأسرة العربية والمستقبل، القاهرة، 1989
19. عامر مصباح، التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.
20. معن خليل عمر، علم الاجتماع الأسرة، دار الشروق، 1994
21. سعد مرسى أحمد، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، 1975
22. برتراند رسل، التربية والنظام الاجتماعي، ترجمة سمير عبده، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1978
23. محمد الهادي عفيفي ، في أصول التربية" الأصول الثقافية للتربية" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978،
24. السيد عبد القادر شريف، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 2002
25. حسن الساعاتي، علم الاجتماع القانوني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1967
26. DURKHEIM, EMILE, Education et sociologie ; P.U.F 4eme EDION, paris, 1980.